## المحاضرة الثالثة

## نماذج من فلسفات الشرق القديم:

زمن هنا وجب قبل أن نسهب في الحديث عن الفلسفة اليونانية، أن نتحدث عن نماذج من فلسفات الشرق القديم خاصة تلك التي أسهمت وتأثر بها فلاسفة اليونان وهذه النماذج موجودة في الحضارات الشرقية الخمس الكبرى التي سبقت في ظهورها الحضارة اليونانية، وهي الحضارة المصرية والحضارة الصينية والحضارة الهندية والحضارة الفارسية والحضارة البابلية **(حضارة ما بين النهرين)**.

## الفلسفة المصرية القديمة:

### الحكمة المصرية:

يتفق المؤرخون على أن الحضارة المصرية القديمة هي أقدم الحضارات وأعراقها وأبعدها أثرا في تاريخ الحضارات بيد أن هناك من المؤرخين المحدثين يقللون من أهمية مصر كمهد للحضارة ويذهبون إلى أن حضارتها لم تكن أقدم الحضارات الأصلية وأن الحضارة السومرية أكثر منها قدما وأبعد أثر.

ولكن مهما كانت طبيعة الخلاف فإن الحقيقة الثابتة التي لا مناص منها هي أن حضارة مصر تمتاز بقدمها وتضرب بجذورها في عصور سحيقة فضلا عن أنها تمتاز بشمولها لمختلف مظاهر الحياة الإنسانية وما تنطوي عليه من مشكلات ولذلك تعتبر الحضارة المصرية القديمة بحق المهد الأصيل والمعين الاول الذي إستقت منه حضارات الشعوب الأخرى المجاورة لها-حوض البحر البيض المتوسط-

أصبح الكثيرون من مؤرخي الفلسفة يؤمنون بأن جذور الفلسفة قد نبتت في مصر القديمة، ولم اتصل بها اليونانيون نمت هذه الجذور وترعرعت على أيديهم؛ فها هو هنري

توماس أحد المؤرخين الغربيين يعبر عن ذلك بقوله "إنه على أرض مصر عاش الحكماء الأوائل العظام في التاريخ. ويمكن أن نعتبر هذا القطر معلم الإنسانية الأول فقد نزح إلى مصر الكثير من فلاسفة العالم القديم حتى أن **أفلاطون** – أعظم فلاسفة اليونان – اعترف بفضل المصريين القدماء عليه كرواده وأساتذته في كل ما هو سام من عمل أو فكر. ولذا يمكن إرجاع كل التفكير الحديث إلى حكمة المصريين وذلك عن طريق **أفلاطون** والفلاسفة اليونانيين الآخرين؛ فقد أخذ اليونانيون فلسفتهم عن الشرق. والغربيون المحدثون بدورهم أخذو فلسفتهم عن اليونان، وهكذا فقد نساب تيار الحكمة عبر الأجيال من غير توقف مبتدئا بالحضارة المصرية وان عرضا مقتضبا للفكر المصري المبكر يوضح لنا أن ما أورثنا إياه **أفلاطون وأرسطو** موجود في فلسفة **بتاح حوتب**. وما تركه لنا **شوبنهور وتولستوى** من تراث ممثلا في حكمة **أبوور**، كما نجد وحي **اسبينوزا وكانط** في رؤى **إخناتون**".

وعليه لا عيب في القول إن الحضارات الشرقية القديمة بما في ذلك مصر قد صدرت عن مقومات روحية وهذا ما يميزها عن الحضارة الإغريقية. وسنحاول هنا عرض بعض ملامح الفكر المصري القديم. يجدر إشارة أن أقدم صور الحكمة المصرية القديمة يمكن أن نلمسها في تعاليم **بتاح حوتب** حيث يقال إنه ظهر قبل **كونفيشيوس**.

**أهم الأفكار الفلسفية في مصر القديمة:**

إذا كان كذلك، فما هي الأفكار الفلسفية التي قدمها المصريون القدماء ومن هم هؤلاء الأعلام الذين أشار إليهم **هنري توماس** وما هي أهم أفكارهم التي تناقلها ومفكرو اليونان وعبرو عنها في كتاباتهم الفلسفية؟!

يجدر الإشارة ان هناك تأثير وتأثر، أخذ اليونانيون فلسفتهم عن الشرق ونحن بدورنا اخذنا فلسفتنا عن اليونانيين، كما يقول " **هنري توماس** "فلا أفكار جديدة تحت الشمس، فالأفكار إنما هي إلا مجرد فكرة قديمة البست ثوبا مختلفا ونراها نحن تحت أضواء مختلفة".

حيث يقول **هنري توماس** في اعلام الفلسفة:" اننا لو تأملنا تاريخ الحضارات الشرقية القديمة لوجدنا ان مقوماتها الأساسية تتباين تماما مع مقومات الحضارة الإغريقية من جميع الوجه، لأن الحضارات الشرقية تهتم بالسماء قبل الأرض "

من أم الأفكار الفلسفية في الحضارة **المصرية القديمة** فكرة الخلود؛ فلقد تأمل الإنسان المصري ظاهرة الموت وحاول أن يجد لها حلا؛ فبعد أن سيطر على مقدرات الطبيعة وسخرها لخدمة وجد أن كل ما حوله يموت وأراد أن يفلسف هذه الظاهرة، فكان أن آمن بأن الموت يعقبه البعث، وأن للإنسان حياة أخرى بعد هذه الحياة التي يعيشها على هذه الأرض وكان أن برر ضرورة هذه الحياة الأخرى تبريرا أخلاقيا على أساس أن أفعال الإنسان في هذه الحياة الدنيا بما فيها من خير وشر لابد أنه سيثاب على الخير منها، ويعاقب على ما فعله من شرور، فكان الايمان بالحياة الأخرى أو الخلود هو الدافع الذي يدفع الإنسان دائما إلى فعل الخير والبعد عن ارتكاب الآثام.

وقد اعتقد الانسان المصري القديم أيضا بفكرة انفصال النفس (**الكا**) عن الجسم (**البا**). وبأن الموت هو موت للجسم فقط وليس للنفس، ومن ثم فإن النفس ستبحث عن ذلك الجسد بعد الموت، وحينما تعثر عليه تبدأ حياة الإنسان الأخرى! ومن هنا كانت محاولات المصريين القدماء للإبقاء على الجسد وكان اختراعهم علم التحنيط الذي يبقى على الجسد بحالته الطبيعية، ومن هنا أيضا كانت عبقريتهم المعمارية والهندسية في بناء الأهرامات، تلك الأبنية الضخمة التي صممت وفق تصميمات هندسية غاية في الدقة لتحافظ على جسد الإله (أي الفرعون).

وقد ارتبطت بهذه الأفكار الميتافيزيقية التي اسهمت في تطور العلم عند المصريين القدماء، فلسفة أخلاقية عمادها ضرورة أن يتصرف الإنسان وفقا للعدالة والنظام (**ماعت–**

**Maat**)؛ فلا يظلم نفسه، ولا يظلم غيره، ولا يرتكب اثما، فالتبرؤ من الآثام والشرور هو أساس الخلود والنجاة من عقاب الآلهة في الحياة الأخرى.

لقد ساعد اعتقاد المصري القديم في الألوهية في تأكيد الارتباط بين الفعل الأخلاقي الحميد والمصير الحسن الذي سيلقاه في حياته الأخرى. وقد تجسدت هذه الأفكار لدى بعض المفكرين الذين توالت اكتشافات كتاباتهم لدى علماء الآثار منذ فك رموز الكتابة **الهيروغليفية**.

## المحاضرة الثالثة (تابع)

## بتاح حوتب وفلسفته الأخلاقة:

كان بتاح حوتب حاكما على منف وكبير وزراء الملك أيام الأسرة الخامسة فلما اعتزل منصبه قرر أن يترك لولده **كتابا يحتوي على الحكمة الخالدة**. لقد كان من أوائل المفكرين المصريين القدماء المفكر الأخلاقي **بتاح حوتب** الذي عاش حوالي **2700 قبل الميلاد** أي قبل ظهور الفكر الغربي عند اليونان بحوالي ستة وعشرين قرنا كاملة. وقد اكتشفت لهذا المفكر ثلاثة وأرعين لوحة ترجمت وأطلق عليها المؤرخون "مخطوط الحكمة" دارت معظمها حول تعليم ابنه الأخلاق الحميدة والحياة الصالحة على الصعيدين الاجتماعي والسياسي وقد رسم فيها **بتاح حوتب** صورة للإنسان الحكيم الذي تعلم الفضيلة وخاصة فضيلة ضبط النفس، حيث كرس نفسه في آخر حياته لتعليم الأطفال لاعتقاده أنه وريث الحكمة على الأرض، وفوق كل هذا كان يحث على تعلم وتعليم الفضيلة –**فضيلة ضبط النفس**– نشير هنا أن هذ المبدأ اصبح فيما بعد أحد أحجار الزوايا في الفكر الأخلاقي اليوناني خاصة عند **سقراط وأفلاطون**.